١٨/٢/١٢

جلالة الملك يوجه خطابا إلى الشعب المغربي
بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

نحتفل اليوم كما هي العادة بعيد الشباب، وقد سمي عيد الشباب حتى يمكن أن تبقى للمغرب بلدنا العزيز فرصة يتاح له فيها أن يشيد بالشباب وينصحهم ويخطط لهم.

إنك تعلم — شعبي العزيز — أن عجلة التاريخ إذا كانت لا ترحم الأفراد فإنها كذلك ليس فيها أية سماحة بالنسبة للشعوب، وقد رأينا منذ أمد قديم شعوبا أينعت وأعطت وبذلت، وبعد ذلك أصبحت على منحدر طريق التاريخ أو طريق الاستسلام.

فالتاريخ وإن كان لا يرحم يعرف من يحالف ويعرف كيف يختار صديقه في الطريق الطويل، كما أن التاريخ له خبرة بالذين يتقهقرون ويتخاذلون ويتركون أنفسهم في مهب الريح ومهب الأحداث ومهب المسيرة الطويلة لا يعطون لأنفسهم قيمة حتى أصبحوا لا يعطيهم أحد أي قيمة.

وهذا التاريخ — شعبي العزيز — من حسن الحظ مارسته ومارسك منذ ألف ومئتي سنة، التاريخ الذي نعرفه في الاسلام وإن كان هذا التاريخ في بعض الأحيان قاسيا جدا فقد كان هو الأول يرضخ بعد جبروته لارادتك ولشبابك ولتقريرك داخل نفسك في أن تتحكم في الأحداث وأن تصيرها كما تريد، وأن تعمل بها ما تريد.

فعلينا إذن شعبي العزيز أن نعلم هذه الحقيقة حق العلم وأن نتحلى بها، ألا وهي أنه لا يتقهقر إلا من أراد أن يتقهقر، أما الذين جعلوا هدفهم الفضيلة ومرماهم العمل الجدي وقصدهم مسيرة المجد ومسيرة البناء، فيمكنهم أن يقولوا إننا بإرادة الله وإرادتنا قهرنا حكم التاريخ ولم يبق ولن يبقى للتاريخ علينا أية سيطرة، متحلين مع ذلك بالتواضع الذي يجب على كل من يفتخر أن يتحلّى به.

فماذا سنفعل بك يا شبابنا في السنين المقبلة ؟ ولماذا سنجندك يا شبابنا للأحقاب الآتية ؟ ولماذا سندعوك أيها الشباب للأحقاب المنتظرة ؟

أولا علينا أن نقول لك : إياك أن تحيد عن طريق المجد ذلك السبيل الذي كنت تتحمل في طياته المخاطر، إذ بركوب المخاطر يصل الانسان دائما إلى ما يريد أن يصل إليه.

فعلينا إذن أن نهيئك للقرن المقبل، وأن لا نجعل منك متفرجاً ومنتهزاً فقط، بل علينا أن نجعل منك مخترعا ومبتكراً ومشاركا في بناء عالم ومجتمع القرن المقبل، ولا يتأتى هذا ألا إذا نحن — بعد النصيحة وبعد التربية — سلحناك بما يجب تسليحك به من المعرفة النافعة والعلم المجدي.

ذكرنا التربية في الأول علما منا أن الأخلاق هي مفتاح كل خير، وأن التحلي بما يجب أن يتحلى به المرء ليخوض جميع ميادين الحياة هو أن يكون مهذبا ومؤدبا، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

وقال الشاعر :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقول المثل العامي عندنا : «الترابي سبقت الجامع»

فلنفرض شعبي العزيز اننا هذبنا أولادنا وأبناءنا وجعلنا منهم المواطن الصالح والمؤمن الرابح والمسلم الناجح.

فعلينا أن نفكر في أن نسلحهم بالعلم والمعرفة ذلك السلاح الذي بدونه لا يمكن لأي شعب من الشعوب أن يقف الوقفة اللازمة في الصراع المستمر مع التاريخ، ومع ما يجاوره من البلدان.

فلهذا شعبي العزيز قررنا أن نجعل من هذه السنة المنطلق الحقيقي والموضوعي والمطابق لشخصيتنا وعبقريتنا، وأن نجعل منها سنة البحث عن كيفية تلقين أبنائنا ما يجب أن يعلموه وما عليهم أن يتقنوه.

توجهنا إليك — شعبي العزيز — في الأسابيع الماضية وحينما نقول شعبي العزيز نعني الكبار منهم والكهول والشباب — لنقول لك هذا هو منهجنا في التعليم وهذا هو سبيلنا للوصول إلى ما نريد.

فعليك أن تعلم أن إصلاحنا لامتحانات البكالوريا ليس نهاية فقط، بل هو وسيلة لتهيىء المغربي الصالح ليلج الميادين التي ستديم بعون الله ورعايته بلاده في مقدمة البلدان.

فلهذا رأينا بعد ما فكرنا أن التنسيق بين السياسة والتربية والتعليم يجب أن يكون محل عنايتنا، وبعبارة أوضح اخترنا من الناحية السياسية والادارية واللامركزية حتى يتمكن جميع المغاربة شمالا وجنوبا شرقا وغرباً أن يتناولوا بيدهم أو بقلمهم أو بعملهم المسؤولية اليومية، تلك المسؤولية التي يصبح نتاجها في نهاية المطاف هو المسؤولية الوطنية.

وحينما رأينا أن هناك هوة شاسعة بين التنظيم السياسي والاداري وبين تكوين المواطنين وتكوين المتناولين لتلك اللامركزية قررنا أن نخرج من هذه المتناقضات وأن نطبق في ميدان التعليم ما آتي أكله وثماره من الناحية السياسية والاجتماعية.

فإذا كانت مدينة الرباط هي العاصمة فلا يمكنها الالمام بجميع المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والادارية وبالخصوص الصغيرة منها، ولا يمكنها كذلك أن تأتي بالحلول المرضية والمطلوبة، فلهذا من الضروري والمنطقي أن نعلم أن المشكل في ميدان التعليم هو نفسه، علينا أن نتحرر من العاصمة، وأن نلقن أبناءنا العلم والمعرفة المفيدة والمجدية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بجعل الأساتذة أمام مسؤولياتهم الحقيقية ليكونوا أقرب ما يمكن من تلامذتهم، وأن تكون البيئة الجهوية أقرب ما يمكن من التلاميذ، وليكون أولو العلم والرأي وأصحاب المسؤولية الجماعية مشرفين ومسؤولين كذلك على تكوين المواطن المغربي، مواطن القرن الواحد والعشرين.

فلهذا ارتأينا أن نقسم المغرب إلى أكاديميات تكون تابعة للجامعات، ففي كل مدينة توجد فيها جامعة

ولو لم تكن كاملة الأطراف يجب أن تكون هناك أكاديمية وتلك الأكاديمية يجب أن تكون مسيرة من لدن أساتذة للتعليم الثانوي يسهرون بما نعرف عنهم من إخلاص ونزاهة وتعلق بمهنتهم وتقدير لمسؤوليتهم على تطبيق البرنامج الوطني التطبيق اللازم، وهم الذين سيسهرون على برامج الامتحانات ومواضيعها، وعلى أن تطبّق البرامج تطبيقا يليق بمستوى تلامذتهم في المستقبل.

فإذا قام مديرو الأكاديميات وإخوانهم من أساتذة التعليم الثانوي وبالطبع مع أساتذة في التعليم الابتدائي والعالي سيكونون موجودين في مجلسهم مسؤولين عن تطبيق هذه التوجيهات، ولهذه الفلسفة يمكننا أن نقول : إننا خرجنا من المشكلة القائمة اليوم، علماً منا أن مشاكل التعليم لا يمكن أن نقول إنها تنتهي يوماً من الأيام.

فمشاكل التعليم تقتضي التطوير، والتطوير يقتضي الابتكار، والابتكار عليه أن يطابق الواقع حتى لا يصبح حلماً، ومطابقة الواقع هي بيد المتصرفين في التعليم أي بيد الأساتذة.

ويمكننا أن نتخيل من الآن أن هذه الأكاديميات أصبحت قائمة وبدأت تشتغل وتمارس مسؤولياتها، علينا من الآن أن نتخيل شبابا متحفزاً ومتحمسا ويتسم في تكوينه بسمتين : السمة الوطنية لأننا كلنا مغاربة، والسمة الجهوية، لأن لكل إقليم وجهة عبقريته وشخصيته، وثقافته الداخلية.

كنت دائما شعبي العزيز أقول لك : إن المغرب بلد حباه الله سبحانه وتعالى بصفتين : صفة الجماعة الجماعية، فالمغرب هو ككل وحباه الله كذلك بصفة التنوع بعبقرية أهل الجنوب وأهل الشمال، وعبقرية الشرقيين والغربيين، وعبقرية أهل الوسط، وحينما تكون هذه الأكاديميات قد مارست مسؤوليتها لمدة ثلاث سنوات حتى نرى أكلها في السنة الأخيرة من الامتحان القادم للبكالوريا والذي سيبقى اسمه البكالوريا، آنذاك سندعو الأكاديميات لعقد اجتماع رسمي وعلني لتضع برنامجا للتعليم ولفنونه وللأسبقيات في التعليم يصبح آنذاك محل دراسة مهمة من لدن حكومتنا وبرلماننا.

إلى يومنا هذا لم يكن الأساتذة يجتمعون مع الادارة إلا للنقاش والمذاكرة فيما يخص حالتهم المادية أو حالتهم من ناحية الحصص أو التنظيم، والآن سيصبحون مدعوين للنظر في عمق المشكل، وأعتقد أن أساتذتنا في التعليم الثانوي بالخصوص مع إخوانهم في التعليم الابتدائي والعالي سيرفعون إلينا وللمغرب نتيجة تفكيرهم وتجربتهم، وسيقترحون علينا ما ننتظر منهم بعد ثلاث سنوات من البرامج والتوجيه وكيفية التلقين ما سيجعلنا مطمئنين على مستقبل أبنائنا وبالتالي على مستقبل بلدنا.

شعبي العزيز : قلت في البداية : ان عجلة التاريخ لا ترحم، فإياك ثم إياك أن تنسى هذه الحقيقة، المغرب بلد جميل وطقسه وجباله جميلة وشواطئه مريحة وصحراؤه خلابة، كل هذا يدعو إلى الكسل وإلى التفاؤل الجارف، ويدعو إلى أن يضع الانسان سلاح الحذر ويستمتع ببلده وباللامبالاة.

شعبي العزيز : إن آباءك وأجدادك ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا لأنهم عملوا بالنهار وقاموا الليل، ولأنهم بعدما يحمدون الله سبحانه على ما أعطاهم في يومهم تجندوا ليلهم ليزدادوا غنيمة في غدهم.

فعليك شبابي العزيز أن تتحلى وتتسلح بشيأين : أولا حمداً لله سبحانه وتعالى على نعمه وشكره على آلائه، وعليك كذلك أن تتسلح بالنظر إلى المستقبل بعين الحذر لا أقول بعين الخوف لأن الخائف لا يخوض ولا يجول ولا ينازل الدهر ولا الأحداث، وعليك أن تنظر بعين الحذر المتبصر الذي يعلم المجد والنجاح على



مستوى الوطن من أصعب ما يكون أن يدرك، وكما يقول الشاعر وإن كان قد قالها في ميدان آخر :

هو المال يعـز على قـابض ويمنـع زبدتـه مــن مخض

فالتاريخ والغد والنجاح هي كالماء، وحينما نقول يعز بمعنى لا يستحيل بل يصعب يعز على قابض ولا يمنع الزبد من مخض، ولكن يجب العمل الجدي والجاد، فالعلم والمجد شيئان متآخيان في هذه الحكمة يمكن أن نقول : ان المجد إن أعطيته كلك أعطاك بعضه، وإن أعطيته بعضك لم يعطك شيئا.

فالمجد شعبي العزيز هو العمل اليومي، ولا يمكن أن نقول : ان العمل اليومي ينقسم إلى عمل شريف وعمل دون ذلك، فكل عمل هو عمل وكل عمل يشرف «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» صدق الله العظيم .

فالعمل ليس مسألة كم بل مسألة كيف، فإذا أخذ كل واحد منا على نفسه أن يعمل حتى تبقى هذه البلاد مستمرة في نموها وعنفوانها ومسايرة للتاريخ البناء وجاهزة لاستقبال القرن المقبل فلي اليقين أننا سننجح، إنني أقول لك هذا شعبي العزيز وأنا أرجع بذاكرتي إلى ثلاثين سنة فلا أظن إنسانا زار المغرب اليوم بعدما زاره عشرين سنة من قبل يمكنه أن يعرف المغرب الجديد، نحن نعيش في البلاد فلا ننتبه لتطورها، فالناس الموجودون خارج البلاد هم الذين يلاحظون تطور المغرب وهم الذين يعرفون ويقومون عمل المغرب وما تحمله وكابده ليصل اليوم إلى ما وصل إليه.

فلهذا شعبي العزيز يجب على الشباب والأجيال المقبلة ألا تقف عند هذا الحد، بل يجب عليهم أن يكونوا طموحين، علما أنهم إذا سايروا التاريخ بكيفية عادية نبذهم التاريخ ونسيهم، ولكن إذا هم تسابقوا مع التاريخ وتحدوه بكيفية معقولة فسيمكنهم آنذاك ألا يربحوا التاريخ فقط، ولكن أن يبقوا مسايرين له أيضاً.

إثنا عشر قرنا في الاسلام وفي التاريخ إثنا عشر قرنا واسم بلدك شعبي العزيز يذكر مرة باسم المغرب ومرة باسم المغرب الأقصى ومرة يسمى مملكة مراكش ومرة يسمى مملكة فاس، ولكن ما ثبت أن مؤرخا أو جغرافيا في حقبة من الأحقاب نسي اسم المغرب، اختلفت أسماء المغرب فكان هذا يسميه كذا وهذا يسميه كذا، ولكن كان دائما حاضرا على خريطة العالم وهو محترم وله وزن وقيمة وثقل.

فعليك شعبي العزيز وشبابي العزيز أن تسير على هذا النهج وأن تعلم أن مسيرة البلاد ليست معلقة في رقبة واحدة، مسيرة البلاد هي عمل الجميع، عمل الملك وعمل الشعب، ولكلٍّ منهما مسؤولية ودور، فعلينا أن نتسلح للمستقبل وأن ننظر إليه بعين ملؤها التفاؤل والجد، فإذا نحن — شعبي العزيز — أخذنا على أنفسنا انطلاقا من هذه السنة شيئاً واحداً لا شيأين، الا وهو النظر بجد دون ديماغوجية ولا تملق للجماهير ولا كذب لأغراض خسيسة وذليلة إذا نحن توجهنا توجها صادقا مخلصا للاصلاح، وللأخذ بيد شبابنا ولفتح الآمال أمام كل مغربي بدأ الحياة باسم الله فسنكون قد هيأنا للسنوات أو للأحقاب المقبلة ذلك الجيش وتلك الجماعة التي ستُبقي اسم المغرب مذكورا أولا ومسموعا ثانيا ومحترما أخيرا.

وما ذلك عليك شعبي العزيز بعزيز، مارستك منذ أربعين سنة لأني بدأت العمل الحقيقي على المكتب والأوراق في سن الثامنة عشرة، أي منذ أربعين عاما وأنا أرى، مرة أفهم ومرة لا أفهم، ولكني خدمتك أربعين عاما بنية عمياء وبوجدان مغرم، كان هناك الوجدان ولكن كان أيضا التكوين، فهذا هو الذي أريده منك شعبي



العزيز، المغربي مغربي وسوف يكون دائما له الوجدان كشطر في وطنيته، والشطر الثاني وهو العرفان، فالعرفان بدون وجدان يجعل منا مرتزقة، والوجدان بدون عرفان يجعل منا شعراء، أما الوجدان والعرفان فيجعلان منا المغربي الذي حتى إذا تغير بيته أو مناخه أو لباسه بقي ذلك المغربي الذي عانق الاسلام ورضيه لبلده دينا، وأقسم أمام الله أن لا يضيع أمانته الوطنية.

إلى الأمام لفتح آفاق جديدة أمام شبابنا، وإلى الأمام لفتح السبل المجدية التي لن يبقى بعد فتحها أي باب مسدوداً أمام أي شاب من شبابنا، علينا أن نتسلح ونعمل ونكد لهذه الغاية علما منا أن الله سبحانه وتعالى لن يخيبنا وسيكلل أعمالنا بالنجاح وسيثيبنا سبحانه وتعالى على ما يعلمه في قلوبنا ونياتنا «إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يوتكم خيرا» صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأربعاء 11 ذو القعدة 1407 — 8 يوليوز 1987